

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف -  
كلية الآداب واللغات  
قسم اللغة العربية وآدابها

الملتقى الوطني الثاني  
أعلام حوض شلف

الأستاذة : راضية بن عريبة

مداخلة موسومة ب:

الحفاظ التنسي بين المجد و التاريخ



## مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا ونبينا  
محمد النبي الكريم :

إذا ما تصفحنا كتب التاريخ فإننا حتما سنقف عند صفحة مجدته هذا  
التاريخ ، سطورها مكتوبة بأنامل علماء شلهف الذين طرقوا المجد من أبوابه  
الواسعة .

هو واحد من هؤلاء ، شهدته له الشهرة أنه كان همزة وصل بين المشاركة  
و المغاربة ، بسعة علمه و اهتمامه الكبير بالأدب و التاريخ فقبل أنه خلق  
فملاً الدنيا وشغل الناس ، إنه الإمام الحافظ "ابن عبد الجليل بن عبد الله  
التنسي" .

و الكثير منا يجهل هذه الشخصية و هذا الملتقى فرصة للتعريف به في  
أواسط العلم والمعرفة ، بل و الكثير منا يجهل أنه عالم من أعلام تنس  
الساحية و الحضارية و عاصمة الجمال بولاية شلهف .

## تنس

على الساحل الأوسط للجزائر بين شرشال و مستغانم تربض مدينة تنس في هدوء رهيب و جمال مهيب و تنس إلتقاء لونين زرقة باخضرار مع فسيفساء التاريخ و همسات الأمم الغابرة يعود تأسيس المدينة إلى القرن الثامن قبل الميلاد على يد الفنيقيين أجداد العرب الأوائل الذين سيطرت أساطيلهم آنذاك على حوض المتوسط و بعد اندحار سلطان الفنيقيين تعاقب على مدينة تنس الاحتلال الوندالي الروماني و من ثم الفتح العربي الإسلامي إلى غاية الاحتلال الإسباني عام 1510 لتحرر على يد المجاهد بابا عروج الذي طرد جيشه الإنكشاري الإسبان من كل سواحل الجزائر و من تنس عام 1517 و ظلت تنس تنعم بالأمن و النماء إلى غاية الاحتلال الفرنسي لها عام 1843 بعد قتال مرير بقيادة القائد بومعزة دفاعا عن تنس و الظهرة.

إن اسم تنس في ذاته ليشهد على مدى عراققة و قدم المدينة . لقد احتفظت المدينة باسم على امتداد القرون و منذ الاحتلال القرطاجي لها إلى يومنا هذا. كلمة كارتينا كما يرى بعض المؤرخين هي الاسم الأصلي لتنس إبان الحكم الروماني وهو دمج الكلمتين الفنيقيتين كارت و مدينة و تناي إسم المحل غير أن مؤرخين آخرين يرون خلاف ذلك و يقولون أن تنس أخذت تسميتها من قائد الفيلق الروماني تناس الذي حرر المدينة من الوجود التسلط و الهمج الوندالي الذي عاث في البلاد فسادا و لتكريم الجند الروماني قررت قبائل و عشائر المنطقة تسمية مدينتهم باسم قائد الجند الروماني تيناس و كان لهم ذلك و منذ ذلك الوقت و المدينة تحمل هذا الاسم إلى يومنا هذا.

## الحافظ التنسي:

### اسمه ونسبه:

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل بن عبد الله التنسي التلمساني ، ولد بمدينة تنس ، ولم أقف على سنة مولده في جميع الكتب التي ترجمت له و هذا امر غريب في حق عالم مشهور كالتنسي ؟ لكنني وجدت الإمام السخاوي ذكر في ترجمته رقم 274 قال : " بلغني في سنة ثلاث وتسعين بأنه حي مقيم بتلمسان جاز الستين " ولما كان السخاوي قد فرغ من تبييض كتابه في ربيع الآخر من سنة (896 هـ) كما هو معروف، يمكنني القول - والله اعلم- انه ولد بين سنوات 832 الى 834 هـ .

### شيوخه وطلبه للعلم :

عبد الجليل الذي حفظ على يديه القرآن الكريم و علوم العربية و آدابها ، و الحديث الشريف ، انتقل بعدها الى حاضرة الزينيين مدينة تلمسان حيث قرأ التفسير و القراءات و الحديث و الفقه عن علماء أجلاء منهم ابن مرزوق الحفيد [الامام الخبر أبي الفضل محمد بن أحمد بن محمد ابن أحمد بن مرزوق الحفيد (قطف الثمر ج1/ص111)]، والولي أبي إسحاق إبراهيم التازي، وأبي الفضل بن الإمام، وأحمد ابن زاغو، وقاسم بن سعيد العقباني، ممن كانت لهم "مشاركة في العلوم العقلية والنقلية" ( البستان في ذكر أولياء تلمسان لابن مريم ص 248، 249 )، و قد انتقل إلى مدينة فاس حيث أخذ عن علمائها ، و سافر أيضا إلى المشرق ليستفيد مما يرويه محدثيه وعلمائه.

### تلامذته:

لقد تخرج على يد الإمام التنسي تلامذة كثيرين ، كما حضر دروسه التي كان يلقيها لسنين طويلة في مساجد تلمسان خلق لا يعد و لا يحصى يدل على ذلك قول تلميذه العالم أبو عبد الله ابن الإمام ابن العباس [شيخ شيوخ وقته في تلمسان، من كتبه (شرح لامية الأفعال (لابن مالك، في الصرف، و (شرح جمل الخونجي) في المنطق، و (العروة الوثقى في تزيه الأنبياء عن فرية الالقا)

و تتلمذ عليه الشيخ العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي الفضل بن سعيد بن سعد الأنصاري، ابن سعد مؤلف "النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب"، ومؤلف "روضة النسرین في مناقب الأربعة المتأخرين". و "مفاخر الإسلام" و "في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم".

و من تلامذته أيضا حفيد الحفيد ابن مرزوق [محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر من مرزوق العجيسي (766 - 842 هـ = 1364 - 1438 م) : عالم بالفقه والاصول والحديث والادب، وشروح كثيرة، منها "المفاتيح المرزوقية لحل الاقفال واستخراج خبايا الخزرجية" و "أنواع الذراري في مكررات البخاري" و "نور اليقين في شرح أولياء الله المتقين" و "تفسير سورة الاخلاص" وثلاثة شروح على "البردة" و "المتجر الربيع".

### سعة علمه:

أولى الإمام التنسي اهتمامه الكبير بالأدب شعرا ونثرا، وكثر اهتمامه بالتاريخ. وإذا كان معاصروه والمترجمون له، قد انتبهوا لقوة حافظته، ولسعة اطلاعه، ولتبحره في علم الحديث النبوي الشريف، وفي الفقه فإننا نلاحظ أنهم حرصوا كل الحرص، على إظهار ميله إلى التاريخ والأدب، مع أن الاهتمام بالمادتين كما هو معروف، كان قليلا في ذلك العصر الذي تغلبت فيه العلوم الدينية والتصوف على الحياة العلمية، فوصف أحمد الونشريسي صاحب "المعيار المعرب، والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب" الامام التنسي: "بالفقيه، الحافظ، التاريخي، والأديب الشاعر".

وقد أورد المقرئ أبو العباس أحمد في كتابه: "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض: 85/1" كيف انه كان ينتقد و يعلق على قصائد الشعراء و منهم الشاعر الأديب ابن الخطيب، قال المقرئ: (...و كان الفقيه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب المذكور أنفا كثيرا ما يوجه إليه بالأمداح [السلطان أبو حمو الزياني] ومن أحسن ما وجه له قصيدة سينية فائقة وذلك عندما أحس بتغير سلطانه عليه فجعلها مقدمة بين يدي نجواه لتمهد له مثواه وتحصل له المستقرة إذا ألبأه إلى الأمر إلى المفر فلم تساعده الأيام كما هو

شأنها في أكثر الأعلام وهي هذه:

أطلعن في سدف الفروع شمسها ... ضحك الظلام لها وكان عبوسا

و عطف قضا للقدود نواعما ..... بوئن أدواح النعيم غروسا

قال الحافظ أبو عبد الله التنسي رحمه الله ورضى عنه : حذا ابن الخطيب في هذه السينية

حذو أبي تمام في قصيدته ، فقال:

أقشيب ربعمهم أراك دريسا ... تقري ضيوفك لوعة ورسيسا

وقد اشتهر الإمام التنسي أيضا بالإفتاء كباقي كبار العلماء. ومما يثبت اهتمامه

بالافتاء، جوابه الطويل في "قضية يهود توات"، وقد بسط هذه النازلة الإمام أحمد بن يحيى

الونشريسي في موسوعته الفقهية: "المعيار المعرب عن فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب".

#### ملخصها:

.... "وأصل المشكلة هو أن بعض المسلمين من "توات"، تلك الناحية المتواجدة على

ضفاف نهر "الساورة" في وسط الصحراء الجزائرية، والتي تضم عددا من الواحات أو

القصور كما يسميها سكان الجنوب، قد أنكروا على اليهود القاطنين في المنطقة،

سلوكهم، ومخالفتهم للقوانين، وللتراتب التي حددها لهم الفقهاء المسلمون، على مر

العصور. وتفاقت الأزمة بعد أن شيد أولئك السكان من اليهود، كنيسة جديدة لهم في

"تمنيط". وقد أثار هذا الخبر ثائرة المتشددين، الذين اعتبروا تشييد معبد جديد، مخالفة

صريحة للشريعة التي تسمح للذميين بإصلاح معابدهم القديمة فقط، وتحظر عليهم بناء

معابد جديدة، غير أن بعض العلماء المحليين، وعلى رأسهم قاضي المدينة، خالفوا أولئك

المتشددين وقالوا: إن اليهود ذميون، لهم ما لأهل الذمة من الحقوق المنصوص عليها في

كتب الفقه. وقد احتج كل فريق بأحاديث نبوية، وبأقوال السلف من الأئمة والفقهاء.

غير أن كلا الفريقين لم يقو على فرض آرائه، وعلى استمالة عامة الناس إليه. وكان في

مقدمة الناقلين على اليهود، العالم الكبير محمد بن عبد الكريم المغيلي. وقد اشتهر هذا

الفقيه بنشاطه، وبجيوبته في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وفي نشر تعاليم الإسلام

ببلاد الزنوج، فأصدر فتوى في حق اليهود القاطنين في مدينة توات وفي بعض مدن

الشمال الإفريقي، أكد من خلالها أن سيطرة اليهود على عموم نواحي الحياة في تلك الديار، وبخاصة النواحي الاقتصادية، يتنافى مع مبدأ الذلة والصغار التي اشترطها الإسلام مقابل حمايتهم وعيشتهم بين ظهراي المسلمين. وعليه فإن هذا التفوق لليهود وإمساكهم بزمام السلطة من خلال سيطرتهم على التجارة، يستوجب - في نظر هذا العالم - محاربتهم وهدم كنائسهم وكسر شوكتهم ليعودوا إلى الذل والصغار. وقد أثارت هذه الفتوى، من قبل الإمام المغيلي، ردود فعل كثيرة في أوساط معاصريه.

ولمن أراد الاطلاع على جواب التنسي في هذه النازلة عليه عليه بمراجعتها في كتاب الونشريسي "المعيار المعرب، والجامع المعرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب" تحت العنوان التالي "نازلة يهود توات من قصور صحراء المغرب الأوسط"، وذلك في 16 صفحة من الطبعة التي قام بتحقيقها الباحث المغربي محمد حجي.

### ثناء العلماء عليه :

لقد احتل الإمام التنسي منزلة رفيعة بين العلماء ، تدل على ذلك تلك الألقاب والنعوت التي أطلقها عليه معاصروه و تلامذته و العلماء الذي ترجموا له ، فقد سموه بالحافظ، وأصبحت الكلمة التي تدل على إتقانه لعلوم الحديث النبوي الشريف وحفظه، مقرونة باسمه. فلم يدع في كتب التراجم، إلا باسم الحافظ التنسي أو بالإمام. كما اختص التنسي بالوصف بالأديب، وبالمؤرخ. وقد سماه تلميذه أحمد ابن داوود البلوي الأندلسي " بقية الحفاظ، وقدوة الأدباء"، وذكر عن البلوي المذكور أنه لما خرج من تلمسان سئل عن علمائها فقال: " العلم مع التنسي والصلاح مع السنوسي والرياسة مع ابن زكري " ، ووصفه الونشريسي في المعيار المعرب: " بالحافظ ، المحدث ،الفقيه." " ووصفه الامام السخاوي - بالعالم ، المصنف - لما ترجم له في الضوء اللامع : " محمد بن عبد الله التنسي - نسبة لتنس من أعمال تلمسان - المغربي المالكي.....مشار إليه بالعلم، وله تصانيف." "

## آثاره :

آثار الإمام محمد التنسي تدل على المتزلة المرموقة التي اكتسبها بين معاصريه، في القرن التاسع الهجري -الخامس عشر الميلادي - الذي زخر بالعلماء، وبرز فيه عدد كبير منهم في المغرب الأوسط، وذلك رغم الفت ترك الامام التنسي مؤلفات في علوم متعددة تدل على تبحره و سعة علمه ،منها:

1- الطراز في شرح ضبط الخراز "، و هو من أشهر مؤلفاته ،وقد أصدر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف طبعة لهذا الكتاب دراسة وتحقيق الدكتور / أحمد بن أحمد شرشال - جزائري من مدينة شرشال - . ( في فن الضبط وهو علم يعرف به ما يدل على عوارض الحرف، التي هي الفتح والضم والسكون والكسر والشدّ والمدّ ونحو ذلك، ويرادف الضبط الشكل.

3- تعليق على مختصر ابن الحاجب " ( وهو كتاب في الفقه من تأليف عثمان بن الحاجب الذي يعتبر من أشهر فقهاء المالكية، والعلماء المختصين في دراسة اللغة . وهو في حكم المفقود.

4- راح الأرواح، فيما قاله المولى أبو حمو من الشعر وقيل فيه من الأمداح، وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح " (جمع فيه القصائد، التي قالها الملك الأديب أبو حمو موسى الثاني، من أسرة بني عبد الواد الذي تربع على عرش المغرب الأوسط من سنة 760 هـ إلى سنة 791 هـ (1389/1359م). كما يضم الكتاب القصائد التي مدح بها هذا الملك، بعض معاصريه من شعراء تلمسان. وقد اشتهر من بينهم محمد بن يوسف القيسي الثغري، ومحمد بن أبي جمعة لشهير بالتالسي) و هذا الكتاب في حكم المفقود أيضا ، لكن أحمد المقري نقل منه نقولا و فقرات طويلة في موسوعته الأدبية " نفع الطيب في غصن الاندلس الرطيب " وفي كتابه الثاني "أزهار الرياض."

5- نظم الدر والعقيان، في بيان شرف بني زيان، وذكر ملوكهم الأعيان، ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان " ( و هو موسوعة تاريخية و أدبية عن تاريخ بني زيان،

وتاريخ المغرب الأوسط و يعتبر المصدر العربي الوحيد، لفترة من تاريخ هذه الدولة، تزيد على سبعين سنة كما و صفه محققه الدكتور محمود بوعياذ مدير المكتبة الوطنية الجزائرية والمستشار الثقافي برئاسة الجمهورية حيث قال: " وفيما عدا "نظم الدر" لا يتوفر للمؤرخ، مصدر تاريخي عربي آخر شامل الأخبار، لدراسة تلك الفترة الطويلة نسبيا، من تاريخ دولة بني عبد الواد التي أسسها يغمراسان بن زيان في المغرب الأوسط، على أنقاض دولة الموحدين.

### وفاته:

توفي الإمام التنسي سنة ( 899 هـ - 1494 م ) بمدينة تلمسان ، بعد أن عاش حياة كرسها لنشر العلم و التأليف و التدريس .

و هكذا يرفع القلم على ترجمة بسيطة تستحق أن تصنف لها الكتب والمجلدات ولم لا ؟ أو لم يكن بحق مفخرة من مفاخر الجزائر و العالم الإسلامي، فرحمة الله عليه رحمة واسعة . .

و أرجو من الباحثين من بعدي أن يُتمّوا مسلك تعريف هذا العالم ،فهو الإمام، المحدث، الحافظ، المقرئ، الفقيه، الأديب، المؤرخ ، الناظم .

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

الأستاذة :راضية بن عريبة.

## قائمة المصادر والمراجع

- 1- أزهار الرياض في أخبار العياض - أحمد بن محمد المقرئ- إحياء التراث الإسلامي - الرباط- 1398 هـ.
- 2- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان -الميلتي المديوني التلمساني -طبعه ابن أبي شنب -مدرسة الآداب العليا-الجزائر -1908.
- 3- تاريخ الجزائر الثقافي-أبو القاسم سعد الله- دار الغرب الإسلامي-ط:01-1998-ج:03.
- 4- شهاب الدين القرافي وجهوده النحوية والتصريفية -رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه - إعداد ابراهيم بن حمد المحيميد -المملكة العربية السعودية -جامعة الإمام محمد بن سعود - كلية اللغة العربية قسم النحو و الصرف و فقه اللغة.
- 5- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية -محمد بن محمد المخلوف- دار الفكر -ط- د ت.
- 6- معجم المؤلفين -عمر كحالة -مكتبة المتني -دار الإحياء- بيروت-دط-دت.
- 7- نيل الإبتهاج بتطريز الديباج - احمد بابا التنبكي- تح: عبد الحميد الهرامة- كلية الدعوة.
- 8- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - أحمد بن مقرئ التلمساني-تح: إحسان عباس-دار صادر-بيروت - لبنان-ج:06.



منظر شامل لمدينة تونس



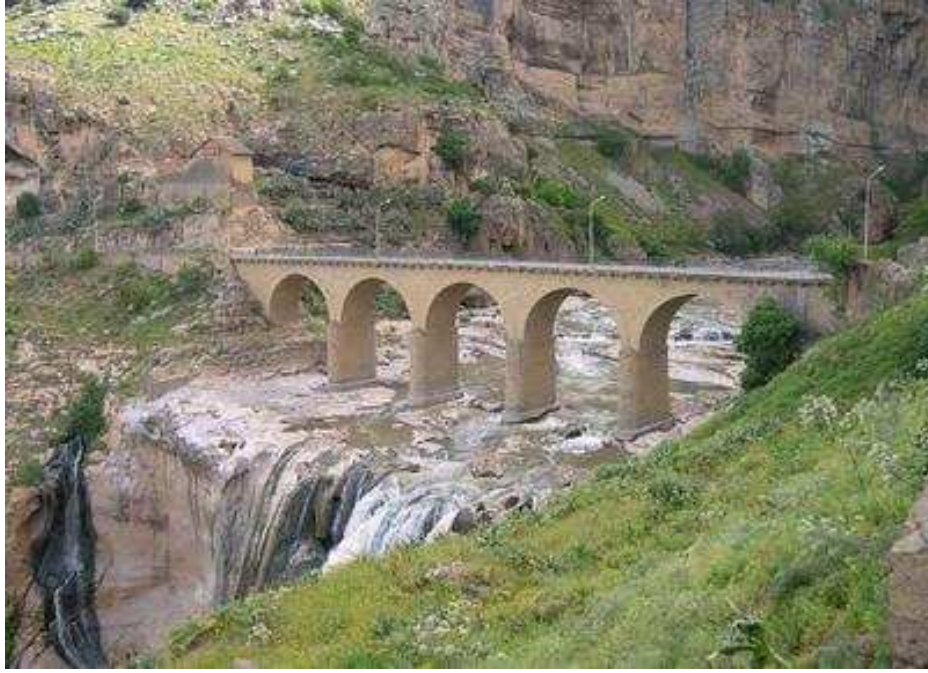
ميناء مدينة تونس



منظر عام لولاية الشلف سنة 1950م



ولاية الشلف سنة 1962م



مدخل مدينة تنس



فرسان تنس

